أحكام الجنائز

مفهوم، واغتسام، ومواعظ، وآداب، وحقوقه، وصبر، واحتساب، وفضائل، وأحكام

في ضوء الكتاب والسنة

تأليف الفقير إلى الله تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

(ح) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ١٤٢٣ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف

أحكام الجنائز في ضوء الكتاب والسنة / سعيد بن علي بن وهف القحطاني – الرياض – الرياض ، ١٤٢٣ هـ

ط ٢ – الرياض ، ١٤٢٣ هـ

٤٢٠ ص ، ١٧×٢٤ سم

ردمك ٢-٦٢٩-٤٣-٩٩٦٠

١- الجنائز أ – العنوان

ديوي ٢٥٢.٢ ١٤٢٣/٦٦٨١

رقم الإيداع : ١٤٢٣/٦٦٨١

ردمك : ٢-٦٢٩-٤٣-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

محرم ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
إلا لمن أراد طبعه، وتوزيعه مجاناً،
بدون حذف أو إضافة، أو تغيير،
فله ذلك وجزاه الله خيراً.

توزيع
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص.ب ١٤٠٥ الرياض ١١٤٣١
هاتف :٤٠٢٢٥٦٤ فاكس: ٤٠٢٣٠٧٦

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخليله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه رسالة في «**أحكام الجنائز**» بينت فيها بتوفيق الله تعالى: مفهوم الجنائز، والأمور التي ينبغي للمسلم العناية بها عناية فائقة؛ لاغتنام الأوقات والأحوال بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان، وذكرت الأمور التي تعين على الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة، والاجتهاد في حال الصحة والفراغ في الأعمال الصالحة؛ لتكتب للمسلم في حال العجز والسقم، وذكرت أسباب حسن الخاتمة، وبينت آداب المريض الواجبة والمستحبة، وآداب زيارة المريض، والآداب الواجبة والمستحبة لمن حضر وفاة المسلم، وذكرت الأمور التي تجوز للحاضرين وغيرهم، والأمور الواجبة على أقارب الميت، والأمور المحرمة على أقارب الميت وغيرهم، وبينت النعي الجائز والمحرم، ثم ذكرت العلامات التي تدل على حسن الخاتمة، وبينت فضائل

الصبر والاحتساب على المصائب، ثم بينت أحكام غسل الميت، وتكفينه، والصلاة عليه، وأحكام حمل الجنازة واتباعها وتشييعها، وأحكام الدفن وآدابه، وآداب الجلوس والمشي في المقابر، ثم ذكرت أحكام التعزية، وفضلها، وبينت أن القرب المهداة إلى أموات المسلمين تصل إليهم حسب الدليل، ثم ذكرت أحكام زيارة القبور وآدابها، وختمت ذلك بذكر أحكام إحداد المرأة على زوجها، وذكرت أصناف المعتدات، وقد اجتهدت أن ألتزم في ذلك بالدليل من الكتاب والسنة أو من أحدهما ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وقد استفدت كثيراً من تقريرات شيخنا الإمام عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز ـ رحمه الله ـ ومن كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ والعلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ.

وقد أفردت هذه الرسالة من كتابي: «صلاة المؤمن»؛ ليسهل الانتفاع بها.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من انتهى إليه؛ وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي؛ فإنه خير مأمول، وأكرم مسؤول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله، وسلم، وبارك، على عبده ورسوله نبينا محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أبو عبدالرحمن

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

حرر بعد المغرب يوم الثلاثاء الموافق ١/ ١/ ١٤٢٤هـ

أولاً: مفهوم الجنائز: بفتح الجيم لا غير: جمع جَنَازة.

والجنازة: بكسر الجيم وفتحها لغتان، والكسر أفصح.

وقيل: «**الجَنَازَةُ**» بالفتح للميت، وبالكسر «**الجِنازةُ**» للنعش عليه ميت. وقيل: عكسه[١].

قال الإمام ابن الأثير: «والجنازة بالكسر والفتح: الميت بسريره، وقيل: بالكسر: السرير، وبالفتح: الميت»[٢].

وقال الفيروزآبادي: «الجَنازةُ: الميت، ويفتح، أو بالكسر: الميت وبالفتح: السرير، أو عكسه، أو بالكسر: السرير مع الميت»[٣]، والله تعالى أعلم[٤].

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «الجنازة مشتقة من جنز إذا سُتِرَ»[٥].

ثانياً: اغتنام الأوقات والأحوال بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٧٣، والإعلام بفوائد عمدة الأحكام، لابن الملقن، ٤/ ٣٧٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، باب الجيم مع النون، ١/ ٣٠٦.

(٣) القاموس المحيط، باب الزاي فصل الجيم، ص ٦٥٠.

(٤) قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: «... فإذا قيل: جَنازة: أي ميت، وإذا قيل: جِنازة: أي نعش، وهذا تفريق دقيق؛ لأن الفتح يناسب الأعلى، والميت فوق النعش، والكسر يناسب الأسفل، والنعش تحت الميت» الشرح الممتع، ٥/ ٢٩٨.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٧٣.

مِن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2] .

وقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ * وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3] .

فكل مفرط يندم عند الاحتضار يسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً، ليستعتب ويستدرك ما فاته وهيهات كان ما كان، وأتى ما هو آتٍ، وكل بحسب تفريطه، أما الكفار فكما قال الله تعالى[4]: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾[5] .

---

(١) سورة الزمر، الآيات: ٥٤ ـ ٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

(٣) سورة المنافقون، الآيات: ٩ ـ ١١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص ١٣٤٩.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٤٤.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[٢]. وهذا يدل على أن من لم يستعمل نعمة الصحة والفراغ فيما ينبغي فقد غُبِنَ؛ لكونه باعهما بثمن بخس، ولم يحمد رأيه في ذلك، ولا شك أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون، والذي يوفق لذلك قليل من الناس، ومعلوم أن الإنسان قد يكون صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك: أن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم كما قيل:

يسر الفتى طولُ السلامةِ والبقا فكيف ترى طول السلامة يفعل
يُرد الفتى بعد اعتدالٍ وصحةٍ ينوء إذا رام القيامَ ويحملُ[٣]

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، برقم ٦٤١٢.

(٣) مقتبس من مجموع كلام ابن حجر، وابن بطال، وابن الجوزي، كما نقله ابن حجر في فتح الباري شرح

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغِناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[١].

ورحم الله الإمام البخاري فقد أحسن حين قال:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سَقمٍ ... ذهبت نفسه الصحيحة فلتة[٢]

وقد أحسن البستي ـ رحمه الله ـ حين قال:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... أتطلب الربح فيما فيه خسران؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان[٣]

ولا ريب أنه ينبغي الاستعداد لما بعد الموت بالأعمال الصالحة، والتوبة من جميع الذنوب؛ لأن الموت قد يأتي بغتة، قال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ: «بابُ موتِ الفُجاءة[٤]: البغتة»

= صحيح البخاري، ١١/ ٢٣٠.

(١) الحاكم وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ٤/ ٣٠٦، ورواه ابن المبارك في الزهد، ١/ ١٠٤ برقم ٢، من حديث عمرو بن ميمون مرسلاً، وقال ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ٢٣٥: «بسند صحيح من مرسل عمرو بن ميمون، فمرسل عمرو بن ميمون شاهد لرواية الحاكم» وصحح الحديث الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ٣٥٥، برقم ١٠٨٨.

(٢) ذكره ابن حجر في هدي الساري، ص ٤٨١ وعزاه إلى الحاكم في تاريخه، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ٢/ ٣٩٢.

(٣) النونية لشاعر زمانه: علي بن محمد بن الحسين البُسْتي، وهي مطبوعة ضمن الجامع للمتون العلمية للشيخ عبدالله بن محمد الشمراني ص ٦٢٣.

(٤) الفُجاءَة: يُقال: فجئَهُ الأمرُ، وفجأه فُجاءةً: بالضم والمد، وفاجأه مفاجأة إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب، وقيده بعضهم بفتح الفاء وسكون الجيم من غير مدٍّ على المرة. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٣/ ٤١٢، والفجاءة: الهجوم على من لم يشعر به. فتح الباري لابن حجر، ٣/ ٢٥٤.

ثم ذكر حديث سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ حين قال للنبي ﷺ: «إن أمي افتُلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»[١].

وعن عبيد بن خالد السلمي ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**موت الفَجْأَةِ أخذةُ أَسَفٍ**[٢]»[٣].

وكره بعض السلف موت الفجأة[٤]؛ لما في ذلك ـ والله أعلم ـ من خوف حرمان الوصية، وترك الاستعداد للمعاد بالتوبة، وغيرها من الأعمال الصالحة، وقد نقلت كراهة موت الفجاءة عن الإمام أحمد، وبعض الشافعية، ونقل الإمام النووي: أن جماعة من الأنبياء والصالحين ماتوا موت الفجأة؛ قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «وهو محبوب للمراقبين»[٥]. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «وبذلك يجتمع القولان»[٦].

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الجنائز، باب موت الفُجاءة، برقم ١٣٨٨، ومسلم، كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، برقم ١٠٠٤.

(٢) أَسَفٍ: أي غضب، قال ابن حجر في الفتح ٣/ ٢٥٤: «أسف: أي غضب، وزناً ومعنى وروي بوزن الفاعل: أي غضبان. قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث، ١/ ٤٨: «وفي حديث موت الفجأة: «راحة للمؤمن وأخذة أسفٍ للكافر» أي أخذة غضب أو غضبان، يقال: أَسِفَ يأسفُ أسفاً فهو آسِفٌ، إذا غضب». فعلى هذا يكون بكسر السين غضبان، وفتحها غضب.

(٣) أبو داود، كتاب الجنائز، باب موت الفجأة، برقم ٣١١٠، وأحمد في المسند، برقم ١٥٤٩٦، ١٥٤٩٧، ١٧٩٢٤، ١٧٩٢٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٢٧٧، وأصحاب موسوعة مسند الإمام أحمد، ٢٤/ ٢٥٣، و٢٩/ ٤٤٥.

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣/ ٢٥٤، والسنن الكبرى للبيهقي، ٣/ ٣٧٨، ٣٧٩، ومصنف ابن أبي شيبة، ٣/ ٣٧٠، ومصنف عبدالرزاق برقم ٦٧٧٩ موقوف على حذيفة رضي الله عنه.

(٥) فتح الباري لابن حجر، ٣/ ٢٤٥، ونقل ذلك في هذا الموضع عن النووي رحمه الله.

(٦) فتح الباري، لابن حجر، ٣/ ٢٥٥.

وورد ما يؤيد عدم كراهة موت الفجاءة للمؤمن، فعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «موت الفجاءة تخفيف على المؤمن وأسف على الكافر» هذا لفظ عبدالرزاق، والطبراني في المعجم الكبير، ولفظ ابن أبي شيبة: «موت الفجاءة راحة على المؤمنين وأسف على الكفار»[١].

ورُوي من حديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن موت الفجأة؟ فقال: «**راحة للمؤمن وأخذة أسَفٍ للفاجر**»[٢].

وعن عبدالله بن مسعود وعائشة ـ رضي الله عنهما ـ قالا: «موت الفجاءة رأفة بالمؤمن وأسف على الفاجر»[٣].

وما أحسن ما استشهد به الإمام البيهقي ـ رحمه الله ـ في كتاب الجنائز، باب موت الفجاءة[٤] من حديث أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة فقال: «**مستريح ومستَراح منه**» قالوا: يا رسول الله! ما المستريح والمستراح منه؟

---

(١) عبدالرزاق في المصنف، برقم ٦٧٧٦، وابن أبي شيبة في المصنف، عن بعض أصحاب عبدالله عنه، ٣/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠، والطبراني في الكبير، ٩/ ١٧٥، برقم ٨٨٦٥، ولم أجد من حسن حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وتوقف عنه ابن باز في تقريره على صحيح البخاري الحديث رقم ٣٨٨ وقال: «يُبحث عنه».

(٢) أحمد في المسند، ٤١/ ٤٩١، برقم ٢٥٠٤٢، والبيهقي ٣/ ٣٧٩، وفي شعب الإيمان، برقم ١٠٢١٨، وعبدالرزاق، برقم ٦٧٨١، وضعفه أصحاب موسوعة المسند في ٢٤/ ٢٥٤ و٤١/ ٤٩١، برقم ٢٥٠٤٢، وقال الهيثمي في الزوائد، ٢/ ٢١٨: «رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وفيه قصة وفيه عبدالله بن الوليد الرصافي وهو متروك».

(٣) ابن أبي شيبة في المصنف، ٣/ ٣٧٠ وهو هنا موقوف، والبيهقي في الكبرى ٣/ ٣٧٩ موقوف أيضاً، ويراجع كلام أهل موسوعة مسند الإمام أحمد، ٤١/ ٤٩١ ـ ٤٩٢.

(٤) السنن الكبرى، ٣/ ٣٧٩.

فقال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا، والعبد الفاجر يستريح منه العباد، والبلاد، والشجر، والدواب»[١].

وثبت في الحديث: «ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد؛ لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى»[٢].

فينبغي الاستعداد، قال شيخنا الإمام ابن باز ـ رحمه الله ـ: «فينبغي الاستعداد؛ ولهذا كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوُّل عافيتك، وفُجَاءَةِ نقمتك، وجميع سخطك[٣] »[٤].

وما أجمل ما قاله محمود الوراق:

مضى أمسُك الماضي شهيداً مُعدَّلاً ... وأعقبه يوم عليك جديدُ
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءةً ... فثنِّ بإحسانٍ وأنت حميدُ
فيومك إن أعتَبَتَهُ عاد نَفعُهُ ... عليك وماضي الأمس ليس يعودُ
ولا تُرجِ فِعلَ الخير يوماً إلى غدٍ ... لعلَّ غداً يأتي وأنت فقيدُ[٥]

وقال آخر:

نسير إلى الآجال في كل لحظةٍ ... وأيامنا تطوى وهُنَّ مراحل
ولم أرَ مثل الموتِ حقًّا كأنه ... إذا ما تخطته الأماني باطلُ

---

(١) مسلم، كتاب الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه، برقم ٩٥٠.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الجهاد، باب الحور العين وصفتهن، برقم ٢٧٩٥، ومسلم، كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله، برقم ١٨٧٧، وفي لفظ للبخاري: «يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة» البخاري برقم ٢٨١٧.

(٣) مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، برقم ٢٧٣٩.

(٤) سمعته أثناء تقريره على باب موت الفجاءة في صحيح البخاري، الحديث رقم ١٣٨٨.

(٥) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ٢/ ٣٩٢.

وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب للرأس شاملُ
ترحَّلْ من الدنيا بزاد من التقى ... فعُمْرُك أيامٌ وهن قلائلُ[١]

وما أحسن ما قاله الشاعر الحكيم:

من فاته الزرع في وقت البذار فما ... تراه يحصد إلا الهمّ والندما

وقال آخر:

نتوب من الذنوب إذا مرضنا ... ونرجع للذنوب إذا برينا
وكم عاهدت ثم نقضت عهداً ... وأنت لكل معروف نسيتا

ثالثاً: الاجتهاد في حال الصحة في الأعمال الصالحة؛ لتكتب للمسلم في حال عجزه عن العمل؛ لحديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتُب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً**»[٢].

رابعاً: الأمور التي تعين على الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة كثيرة منها:

١ ـ الإكثار من ذكر الموت والاستعداد للقاء الله تعالى: ينبغي للمسلم أن يكثر من ذكر الموت، ويبادر بالأعمال الصالحة قبل أن يأتيه الموت بغتة فيندم حين لا ينفع الندم؛ لحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذِكْرَ هاذِمِ اللذَّات**»[٣] يعني الموت، وفي لفظ لابن حبان: «**أكثروا ذكر**

---

(١) ذكره ابن رجب في المرجع السابق، ٢/ ٣٨٤.

(٢) البخاري، برقم ٩٩٦، وتقدم تخريجه في صلاة المريض، في الاجتهاد في الصحة.

(٣) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، برقم ٢٣٠٧، والنسائي، كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت، برقم ١٨٢٣، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، برقم ٤٢٥٨، وابن حبان، بلفظ «أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت» برقم ٢٩٩٢. وقال الألباني في صحيح سنن النسائي=

هاذِم اللذات، فما ذكره عبد قط وهو في ضيقٍ إلا وسَّعه عليه، ولا ذكره وهو في سعةٍ إلا ضيقه عليه»[١] ، وفي لفظ لابن حبان أيضاً: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**أكثروا من ذكر هاذِم اللذات**»[٢] ، فالموت يقطع اللذات ويزيلها، والحديث دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يغفل عن ذكر أعظم المواعظ وهو الموت، قال الإمام الصنعاني: «وقد ذكر في آخر الحديث فائدة الذكر بقوله: «فإنكم لا تذكرونه في كثير إلا قلَّلهُ، ولا قليل إلا كثره»[٣] .

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاءه رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ ثم قال: يا رسول الله! أي المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خُلُقاً**» قال: فأي المؤمنين أكيس[٤] ؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس**»[٥] .

= وغيره، ٢/ ٦: «حسن صحيح».

(١) صحيح ابن حبان برقم ٢٩٩٣ وحسنه الألباني في إرواء الغليل ٣/ ١٤٥.

(٢) صحيح ابن حبان، برقم ٢٩٩٥ وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(٣) سبل السلام للصنعاني، ٣/ ٣٠٢، وهذا الخبر أخرجه الطبراني في الأوسط بلفظ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات ـ يعني الموت ـ فإنه ما كان في كثير إلا قلله، ولا قليل إلا جزأه» [مجمع البحرين، ٨/ ٢٠٦، برقم ٥٠٧٦] وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ٣٠٩: «إسناده حسن»، وذكر الصنعاني هنا آثاراً منها: «أكثروا ذكر الموت فما من عبد أكثر ذكره إلا أحيا الله قلبه وهوَّن عليه الموت» [ذكره الديلمي في مسند الفردوس، ١/ ٧٤، برقم ٢١٨].

(٤) أكيس: أعقل. ومثله: الكيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت: أي العاقل. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٤/ ٢١٧.

(٥) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، برقم ٤٢٥٩، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٣٨٤.

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾(١) .

وقال جلَّ وعلا: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾(٢) .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(٣) .

وقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾(٤) .

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٥) .

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ * وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ * وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾(٦) .

وقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾(٧) .

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.
(٣) سورة ق، الآية: ١٩.
(٤) سورة الواقعة، الآيات: ٨٣ ـ ٨٧.
(٥) سورة الجمعة، الآية: ٨.
(٦) سورة القيامة، الآيات: ٢٦ ـ ٣٠.
(٧) سورة الملك، الآيتان: ١، ٢.

وقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾[٢].

قال زهير بن أبي سلمى:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلم[٣]

وقال آخر:

الموت باب كل الناس داخله ... فليت شعري بعد الباب ما الدار

الدار جنة خلدٍ إن عملت بما يرضي الإله ... وإن فرطت فالنارُ

وعن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «**يا محمد عِش ما شئت فإنك ميتٌ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به**» ثم قال: «**يا محمد شرف المؤمن قيام الليل، وعزُّه استغناؤه عن الناس**»[٤].

وما أحسن ما قال الشاعر الحكيم:

وما هذه الأيام إلا مراحل ... يحثُّ بها داعٍ إلى الموت قاصداً

وأعجب شيء لو تأملت أنها ... منازل تطوعٍ والمسافر قاعد[٥]

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٦١، ٦٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ص ٣٤٣.

(٤) أخرجه الحاكم، ٤/ ٣٢٥، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٨٣١، وتقدم تخريجه في فضل قيام الليل.

(٥) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ٢/ ٣٨٣، وذكره أيضاً ابن القيم في مدارج السالكين، ٣/ ٢٠١.

وقال آخر:

أيا ويح نفسي من نهار يقودها إلى عسكر الموت وليلٍ يذودُها[١]

٢ ـ ذكر القبر والبلى؛ لحديث هانىء مولى عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال: كان عثمان إذا وقف على قبرٍ بكى حتى يَبُلَّ لحيته، فقيل له: تُذكرُ الجنة والنارُ فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدُّ منه**» قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظراً قطُّ إلا والقبرُ أفظعُ**[٢] **منه**»[٣].

والقبر أقرب شيء للإنسان، وشدته أمارة للشدائد كلها، وهو أشد وأشنع المناظر في الدنيا، وحيث خُصَّ بمناظر الدنيا اندفع ما يتوهم أن هذا ينافي قوله: «**فما بعده أشدُّ منه**» على أنه يمكن الجواب إذا عمم بأنه أفظع من جهة الوحشة، والوحدة، وغيره أشد عذاباً منه فلا إشكال[٤].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذَّنب، ومنه يركَّبُ الخلقُ يوم القيامة**»[٥].

٣ ـ قصر الأمل والاستعداد للموت بالأعمال الصالحة، قال

---

(١) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ٢/ ٣٨٣.

(٢) أفظع: أي أشدُّ وأشنع. شرح السندي على سنن ابن ماجه، ٤/ ٥٠٠.

(٣) الترمذي، كتاب الزهد، باب: حدثنا هناد، برقم ٢٣٠٨، وابن ماجه، واللفظ له، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، برقم ٤٢٦٧، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٥٢٧ وغيره.

(٤) انظر: شرح السندي على سنن ابن ماجه، ٤/ ٥٠٠.

(٥) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، برقم ٤٢٦٦، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ٤٢١، وغيره.

الله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[١] .

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «ارتحلت الدنيا مدبرةً، وارتحلت الآخرة مقبلةً، ولكل واحدةٍ منها بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل»[٢] .

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: خَطَّ النبي ﷺ خطًّا مربعاً، وخطَّ خطًّا في الوسط خارجاً منه، وخطَّ خُطَطاً صغاراً إلى الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: «**هذا الإنسان وهذا أَجَلُهُ محيطٌ به** ـ أو قد أحاط به ـ **وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخُطَطُ الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**»[٣] .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: خطَّ النبي ﷺ خطوطاً فقال: «**هذا الأمل وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب**»[٤] .

وعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» .

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣.

(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، قبل الحديث رقم ٦٤١٧، وذكر الحافظ في فتح الباري، ١١/ ٢٣٦: زيادة في أوله عند ابن أبي شيبة وابن المبارك في الزهد: «قال علي: إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة...» الحديث كالذي في الأصل سواء.

(٣) البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، برقم ٦٤١٧ ومعنى نهشه: أصابه.

(٤) البخاري، كتاب الرقاق، باب الأمل وطوله، برقم ٦٤١٨.

وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[١].

وقال بعض السلف:

سبيلك في الدنيا سبيل مسافرٍ ... ولا بد من زادٍ لكل مسافرِ
ولابد للإنسان من حملِ عُدَّةٍ ... ولاسيما إن خاف صولة قاهرِ[٢]

وقال الألبيري ـ رحمه الله تعالى ـ:

فليست هذه الدنيا بشيء ... تسؤك حِقبةً وتسرُّك وقتاً
وغايتُها إذا فكرت فيها ... كفيِّكَ أو كحلمك إذا حلمتا
سجنت بها وأنت لها محبٌّ ... فكيف تُحبُّ ما فيه سُجنتا
وتُطعمكَ الطعام وعن قريبٍ ... ستطعم منك ما فيها طعِمتا
وتشفقُ للمصرِّ على المعاصي ... وترحمه ونفسك ما رحمتا[٣]

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل**»[٤].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَكْبرُ ابنُ آدم ويكبرُ معه اثنتان: حب المال وطول العمر**» ولفظ مسلم:

---

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنكم غريب أو عابر سبيل» برقم ٦٤١٦.
(٢) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ٢/ ٣٨٢.
(٣) نونية الشاعر الزاهد إبراهيم بن مسعود الغرناطي الألبيري، وهي مطبوعة في الجامع للمتون العلمية، للشيخ عبدالله بن محمد الشمراني، ص ٦٣٣.
(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، برقم ٦٤٢٠ واللفظ له، ومسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا، برقم ١٠٤٦.

«**يهرمُ ابن آدم وتشبُّ منه اثنتان: الحرص على المال والحرص على العمر**»[١] . ومعناه أن قلب الشيخ كامل الحب للمال متحكم في ذلك كاحتكام قوة الشاب في شبابه، وسماه شابًّا إشارة إلى استحكام حبه للمال أو هو من باب المشاكلة والمطابقة[٢] .

وسمعت شيخنا الإمام عبدالعزيز ابن باز ـ رحمه الله ـ يقول: «يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان» أي يقوى معه اثنان، هذه طبيعة الإنسان: حب الدنيا وطول الأمل إلا من رحم الله، فالواجب على المؤمن أن يحذر، وأن يعتبر هذه الدار مزرعة، فيجتهد في الزرع للآخرة، حتى يحصد يوم القيامة ما ينفعه»[٣] .

وما أحسن قول بعض السلف الصالح:

إنَّا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يدني من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً ... فإن الربحَ والخسران في العمل[٤]

وقال آخر:

تزوّد للذي لا بد منه ... فإن الموت ميقات العباد
أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

وقال آخر:

تزود من التقى فإنك لا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حيناً من الدهر

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، برقم ٦٤٢١، ومسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا، برقم ١٠٤٧ .

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ٢٤٠، ٢٤١ .

(٣) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم ٦٤٢١ .

(٤) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ٢/ ٣٨٧ .

وقال أبو العتاهية:

وما أدري وإن أمَّلت عُمراً ... لعلي حين أصبح لست أُمسي
ألم تر أن كلَّ صباح يومٍ ... وعمرك فيه أقصر منه أمسِ[١]

وقال آخر:

يا من بدنياه اشتغل ... وغرَّهُ طول الأمل
الموت يأتي فجأة ... والقبر صندوق العمل

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالصَّرْمة بالنار**»[٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة أو الخوصة**»[٣].

وتقارب الزمان بقلة البركة فيه، قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «قد وجد في زماننا هذا من سرعة الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا»[٤]. وقيل: سرعة الزمان بسبب وسائل الاتصالات السريعة.

---

(١) ذكره ابن رجب في المرجع السابق، ٢/ ٣٨٦ وهو في ديوان أبي العتاهية ص ١١١.

(٢) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في تقارب الزمان وقصر الأمل، برقم ٢٣٣٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٥٣٧.

(٣) ابن حبان في صحيحه، برقم ٤٨٤٢، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الصحيح».

(٤) فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ٨١، وانظر: هناك الحديث رقم ٧١٢١.